(٢)
منشورات قرآنية

١ - «انظر تصويرَ القرآنِ للجُهد العنيف الذي بذله الرجل في إصدار حكمه، حيث يقول: ﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ﴾ [المدثر: ١٨-٢٣]، ومعنى هذا كلُّه أنه كان يقاوم فطرته، ويستكره نفسه على مخالفة وجدانه، وأنه كان في حيرة وضيق بما يقول .. وأخيرًا استطاع أن يقول ما قال نزولًا على إرادة قومه»، دراز.

٢- القرآنُ المجيد لا تنقضي عجائبه.

وآيةُ ذلك أن الناس يردونه، ويصدر كل منهم بما لم يخرج به صاحبه، وهو على ما هو عليه معين لا ينضب!

وإن أردت أن تقف على شيء من ذلك، فتأمَّل تفاسير المحققين من أهل العلم.

تجد الواحد منهم يستفرغ مجهوده في إيراد ما يمكن إيراده، ويستدرك المتأخر ما أغفله المتقدم.

ولا يزال الناس يأخذون منه، ويتمتعون بما فيه، لا حرمَنَا الله لذَّة فهمِه، وجعله لقلوبنا ربيعًا.

٣- من أخبار أهل القرآن:

* «كان ابن القَلَّال لا يُجيز أحدًا ممن يقرأ عليه إلا بتعنت، وقد رحل إليه شخص من بلاد بعيدة، فلما أكمل عليه القراءات سأله الإجازة، فتعنت عليه، فشقَّ ذلك عليه وتوجه مكسور الخاطر وبات تلك الليلة، فرأى النَّبي ﷺ في النوم، فكأنه سأله عن حاله، فأخبره، وشكا إليه من قول الشيخ.

فقال له ﷺ: «لا عليك! ارجع إليه غدًا، وقل له: بأمارة زمرًا زمرًا».

فلما أصبح غدا إلى الشيخ وأخبره الخبر.

فقال: صدقت يا بني، وبكى، واستغفر الله مما مضى، وعاهد ألا يأخذ شيئًا ممن يقرأ عليه، وأجازه.

فسئل عن ذلك فقال: كنت ليلة أقرأ فوصلت إلى قوله تعالى ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾ [فاطر: ٣٢] الآية .. حتى قرأت ﴿ جَنَّـٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا ﴾ فقلت في نفسي أيدخلون الجنة كلهم جملة واحدة، أو كيف؟!

ثم نمت، فرأيته ﷺ وهو يقول: «زمرًا زمرًا»!».

* **صحبة نادرة، وفعل الوشاة:**

ذكر الإمام ابن الجزري في جامع أسانيده صحبة نادرة بين الإمامين العالمين المقرئين:

محمد بن أحمد بن جابر الهواري، وأحمد بن يوسف بن مالك.

وذكر أنهما ولدا سنة ثمان وسبعمئة.

وأنهما اتحدا في المحبة والصفاء حتى صارا كنفسٍ واحدة!

لا يمتاز أحدهما عن الآخر في ملبس، ولا مطعم، حتى إن أحدهما لو لبس ثوبًا يلبس الآخر مثله وشكله، ويجلسان للإفادة معًا.

قال أبو الخير: (ورأيت منهما في ذلك ما لم أره ولا سمعته).

وقال السخاوي: (وأخوة هذين الشيخين واتحادهما واتفاقهما في الأخلاق والأقوال والأفعال لم أر مثلها، ولم أسمع بذلك.

ولا يملك أحدهما دون أخيه شيئًا، ولا يتخصص عنه بشيء من أمور الدنيا قل أو جل.

ولا يلبس أحدهما غير ملبس الآخر، لكل واحد منهما مثل ما لصاحبه، إن فصَّلا ثيابًا فمن نوع واحد، ولون واحد، لا يمكن أن يغير أحدهما لباسًا دون الآخر، ويأكلان جميعًا، ويرقدان جميعًا في بيت واحد.

وأعرضا معًا عن التزوج والتسري رغبة في دوام الصحبة، وخوفًا من أسباب الفرقة، وكان معهما مملوك لهما يخدمهما)!

وقد نظم الأول قصيدة بديعة مطلعها:

بطيبة انزل ويمم سيد الأمم　　وانشر له المدح وانثر أطيب الكلم
وابذل دموعَكَ واعذِل كلَّ مصطبرٍ　　والحق بمن سار والْحظْ ما على العلم

وقد شرحها صاحبه الآخر!

حصول الفرقة:

قال ابن الجزري: (وقد بلغنا وفاة الشيخين المذكورين بعد أن فرَّق الوشاة بينهما فافترقا:

وكـل أخ مـفـارقـه أخـوه   لعمر أبيك حتى الفرقدان

رحمهما الله فقد كانا من محاسن الدهر).

٤- بشاعة الكفر، وسوء حال الكافرين.

ينبغي أن نركز على بشاعة الكفر، وأن نوصل للناس مدى السوء الذي يصل إليه الكافر برب العالمين.

إن من أسئلة القرآن المجيد: ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [البقرة: ٢٨].

لقد أصبح كثير من أهل الإسلام لا يعي حقيقة الكفر، ولا بشاعته، ولذلك يقع استغراب كثير منهم لمعاني ذم الكفر، وعاقبته التي وردت في الآيات والأحاديث، إن بشاعة الكفران برب العالمين لا تعدلها بشاعة.

«وإن ابن جدعان لن يدخل الجنة، لأنه لم يقل يومًا: رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين!».

٥- يا بني:

* وقال يومًا:

يا بني: تعوذ بالله من علم لا ينفع، فإن العلم يكون وبالًا على صاحبه إن هو لم يعمل به..

يا بني: تعوذ بالله أن تكون ممن ركن إلى الذين ظلموا..

يا بني: إن مثل العالم الذي يمشي في ركاب الظالمين، كمن عمد إلى ثوب أبيض نقي، فوضعه في أنتن ما يكون في الدنيا..

يا بني: لا تأمنن الفتنة على نفسك، فإنهم أمنوا!

يا بني: خف عذاب الله، ويوم العرض عليه..

يا بني: إن لم تنطق بحق، فاسكت عن الترويج للباطل..

يا بني: إياك أن تمدح ظالمًا، وأن تعينه، فإن من أعان ظالمًا بلي به، وسلطه الله عليه!.

❁ وقال لي الشيخ يومًا:

واعلم يا بني أنه بقدر نقص وردك من القرآن، تذهب البركة عنك.

فإن رمت البركة فتعرض للكتاب، فإنه كلام الأكرم، الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم.

❁ وسألته: ما الخسران؟

قال: اعلم أنه مراتب؛

أولاها: أن يخسر الإنسان نفسه.

وثانيها: أن يخسر أهله.

ذلك هو الخسران المبين!

فقلت له: وكيف يخسر الإنسان نفسه؟

فقال: يا بني إن العبد إذا كان لله = كان الله له،

وإذا لم يكن لله = لم يكن الله له.

فكيف تكون نفسه له؟.

* وقرأت عليه ذات مرة من سير الصالحين، وجعلت أعجب من طول صلاتهم، وحسن عبادتهم!

فنظر إلي متبسما، وقال: أراك تتعجب؟!

ثم أردف قائلًا: يا بني لا تنظر إلى كمال النِّهاية، ولاحظ نقصَ البداية، ادْرج كما درجوا تصل كما وصلوا!.

* وسألته: أين المنتهى؟!

قال: إلى الله!.

* وسألته أين الأمل؟!

قال: في الباقيات الصالحات.

* وبادرني مرةً بلا سؤال قائلًا: لا ترض رتبة الواصفين، واسلك مع السالكين!

فقلت يا سيدي: أخبرني عنهم؟!

قال: إن مثل الواصف كمثل رجل قرأ في الكتب القديمة وصفهم للطريق إلى ديار الأفراح، فأيقن بها وآمن، وعرف الطريق ومسالكه، فجعل يصفه للناس، وهم يظنون من حلاوة وصفه أنه يعرفه معرفة من سلك، فجعلوا يذهبون إليها واحدًا تلو الآخر، والواصف لم يبرح بلاد الأتراح!

وبذلك، قد عرفت السالك، فبضدها تتميز الأشياء!.

❋ وسألته: ما المؤثر؟!

قال: القرآن.

قلت: وما المحل القابل؟!

قال: القلب الحي.

قلت: وما الشرط؟!

قال: الإصغاء.

قلت: وما المانع؟!

قال: اشتغال القلب وذهوله عن معنى الخطاب، وانصرافه عنه إلى شيء آخر.

قلت: وما الأثر؟!

قال: التذكر.

قلت: من أين سيدي؟!

قال: من قوله سبحانه: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ [ق: 37]!.

* وسألته: ما الغاية الكبرى؟!

فأجاب: ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [التوبة: ٧٢].

* وسألته: ما مكابدة القرآن؟!

فقال يا بني: معاناة معانيه إدراكًا لحقائقه لهيبًا يحرق باطن الإثم من نفسك، لأخذ حظك من النور!

قلت: وما الطريق إليه؟!

قال: تكَلَّفْه حتى يصير التكلف طبعًا، فالنفس معتادة متحملة لما تتكلف، هي النفس ما عودتها تتعود!.

* وسألته عن سبب إتقانه للقرآن!

فقال: يا بني دع عنك كل شيء، ما حفظنا القرآن إلا في جَوْفِ الليل.

٦- كثير مما كتب، ويكتب عن تدبر القرآن = مكرورٌ لا إبداع فيه!

الإبداع: أن تخوض التجربة!.

٧- «انظر إلى موسى - صلوات الله وسلامه عليه - رمى الألواح التي فيها كلام الله الذي كتبه بيده فكسرها، وجر بلحية نبي مثله، وهو هارون، ولطم عين ملك الموت ففقأها، وعاتب ربه ليلة الإسراء في محمد ﷺ

ورفعه عليه = وربه تعالى يحتمل له ذلك كله، ويحبه ويكرمه، لأَنَّه قام لله تلك المقامات العظيمة في مقابلة أعدى عدو له، وصدع بأمره، وعالجَ أمتي القبط وبني إسرائيل أشد المعالجة، فكانت هذه الأمور كالشعرة في البحر.

وانظر إلى يونس بن متى حيث لم يكن له هذه المقامات التي لموسى، غاضب ربه مرة، فأخذه وسجنه في بطن الحوت، ولم يحتمل له ما احتمل لموسى، وفرق بين من إذا أتى بذنب واحد، ولم يكن له من الإحسان والمحاسن ما يشفع له، وبين من إذا أتى بذنب جاءت محاسنه بكل شفيع، كما قيل:

وإذا الحبيب أتى بذنب واحد جاءت محاسنه بألف شفيع

فالأعمال تشفع لصاحبها عند الله، وتذكر به إذا وقع في الشدائد» .. ابن القيم ناقلًا عن الشيخ الإمام.

٨- فريدريك ديني - كاتب غير مسلم -..

تذَكَّر «التجربة الرائعة المقلقة» التي يمارسها الإنسان أحيانًا وهو يقرأ القرآن..

عندما يبدأ القارئ في الشعور «بحضور غامض، ومخيف أحيانًا»..

فبدلًا من قراءة القرآن، يبدأ القارئ يشعر أن «القرآن هو الذي يقرأ القارئ».

وصدق والله في قوله: «يقرأ القارئ»، ويكشف أغوار نفسه!.

٩- «كلما ازداد [الإنسان] بصيرة بأسرار اللغة، وإحسانًا في تصريف القول، وامتلاكًا لناصية البيان، ازداد بقدر ذلك هضمًا لنفسه، وإنكارًا لقوته، وخضوعًا بكليته أمام أسلوب القرآن»، دراز.

١٠- من لم يكابد حقائق القرآن لهيبًا = يحرِّق باطن الإثم من نفسه، فلا حظ له من نوره!.

١١- «يرحم الله السلف الصالح، فلقد بالغوا في وصية كل ذي عقل راجح، فقالوا:

مهما كنت لاعبًا بشيء فإياك أن تلعب بدينك»!، القرطبي.

١٢- «ليس كل ما يتعسفه بعض المعربين، أو يتكلفه بعض القراء، أو يتأوله بعض أهل الأهواء مما يقتضي وقفًا وابتداءً ينبغي أن يتعمد الوقف عليه.

بل ينبغي تحري المعنى الأتم والوقف الأوجه.

وذلك نحو الوقف على ﴿وَٱرْحَمْنَآ أَنتَ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، والابتداء ﴿مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦] على معنى النداء!»، ابن الجزري.

١٣- السور التي كان النَّبي صلوات الله وسلامه عليه يكررها (كالسجدة والإنسان والأعلى والغاشية)، وكذلك التي ثبت عن كثير من

السلف تكرارها = من أعظم ما ينبغي على المسلم أن يعرف معانيها، ويحسن تأملها.

ولو أحسن المؤمن تأمل هذه السور، لوجدها تعالج شيئًا كثيرًا مما يعاني منه في هذه الحياة.

وتأمل - مثلًا - أن سورة الكهف فيها خارطة النجاة من فتن تحدق بالمرء إن انفك من واحدة وقع في الأخرى، وهي:

١- الفتنة في الدين.

٢- فتنة المال.

٣- فتنة العلم.

٤- فتنة الرياسة ومنها: الشهرة.

فتأملوا يا عباد الله، فإنه من رجا لقاء ربه فعليه أن يعمل عملًا صالحًا ينجيه مع سلامة قلبه من الشرك.

١٤- أن تُثوِّر القرآن = فهذا من أعظم درجات السالكين، والطريق إلى علم الأولين والآخرين.

أن تَثُورَ عليه، فتترك ثوابته وراءك ظهريًا = فهذا أكبر الخزي والعار.

١٥- أحبُّوا القرآن فإن محبته طريق إلى الجنة!

عن أنس بن مالك رضي الله عنه، كان رجل من الأنصار يؤمهم في

مسجد قباء، وكان كلما افتتح سورة يقرأ بها لهم في الصلاة مما يقرأ به افتتح: بقل هو الله أحد حتى يفرغ منها، ثم يقرأ سورة أخرى معها، وكان يصنع ذلك في كل ركعة، فكلمه أصحابه، فقالوا: إنك تفتتح بهذه السورة، ثم لا ترى أنها تجزئك حتى تقرأ بأخرى، فإما تقرأ بها وإما أن تدعها، وتقرأ بأخرى فقال: ما أنا بتاركها، إن أحببتم أن أؤمكم بذلك فعلت، وإن كرهتم تركتكم، وكانوا يرون أنه من أفضلهم، وكرهوا أن يؤمهم غيره، فلما أتاهم النَّبي ﷺ أخبروه الخبر، فقال: «يا فلان، ما يمنعك أن تفعل ما يأمرك به أصحابك، وما يحملك على لزوم هذه السورة في كل ركعة» فقال: إني أحبها، فقال: «حبك إياها أدخلك الجنة» [رواه أحمد: (١٢٤٣٢)].

١٦- «من ادَّعى فهم أسرارِ القرآن، ولم يحكم التفسير الظاهر = فهو كمن ادعى البلوغ إلى صدر البيت قبل تجاوز الباب!»، الزركشي.

١٧- كل قلب يحتاج إلى تثبيت، ومن أعظم الطرق التي يثبت بها القلب:

أولًا: تلاوة الكتاب، فهمًا وتدبرًا: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا﴾ [الفرقان: ٣٢]، ﴿قُلۡ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلۡقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [النحل:١٠٢].

ثانيًا: مطالعة القصص، وقصصُ القرآن خاصة، قال سبحانه: ﴿وَكُلّٗا نَّقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ﴾ [هود: ١٢٠].

١٨- من أراد أن يتذكر بالقرآن حقًا، فالطريق الواضح في قوله سبحانه:

إن في ذلك لذكرى:

- لمن كان له قلب.

- أو ألقى السمع.

- وهو شهيد.

فإذا قرأت القرآن بقلبك الحي، مع الإصغاء التام، وترك الانشغال، حصلت النعمة الكبرى، والنعيم المقيم، وكتبت في الذاكرين!.

١٩- القرآن .. والعبادة الموسمية

بعض الناس يتعامل مع الكتاب العزيز تعاملًا موسميًا، فلا يقترب منه إلا في مواسم الطاعة خاصة (رمضان).

وهؤلاء لن يُحرموا نور الكتاب - بإذن الله الكريم -، لكنهم لن يحصِّلوا من هذا النور إلا بمقدار القرب من الكتاب.

وصاحب الهمة، طالب النور، لا بد أن يزداد قربه من الكتاب يومًا بعد يوم، وهو بهذا آخذ في الاهتداء بنور الكتاب، دافعٌ للران الموجود على القلب.

وتذكروا قول ربنا عن الكتاب: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ﴾ [فصلت: ٤١].

فبقدر قُربك = يكون أَخْذُكَ!.

٢٠- قال الإمام العلامة عثمان بن سعيد الملقب بورش أبو سعيد المصري المقرئ:

«خرجتُ من مصر، لأقرأ على نافع، فلما وصلت إلى المدينة، صرت إلى مسجد نافع، فإذا هو لا يطاق القراءة عليه من كثرتهم، وإنما يقرئ ثلاثين.

فجلست خلف الحلقة، وقلت لإنسان: من أكبر الناس عند نافع؟ فقال لي: كبير الجعفريين، فقلت: فكيف به؟ قال: أنا أجيء معك إلى منزله.

وجئنا إلى منزله، فخرج شيخ فقلت: أنا من مصر، جئت لأقرأ على نافع، فلم أصل إليه، وأخبرت أنك من أصدق الناس له، وأنا أريد أن تكون الوسيلة إليه، فقال: نعم وكرامة.

وأخذ طَيلسَانه ومضى معنا إلى نافع، وكان لنافع كنيتان، أبو رويم وأبو عبد الله فبأيهما نودي أجاب، فقال له الجعفري: هذا وسيلتي إليك، جاء من مصر ليس معه تجارة، ولا جاء لحج، إنَّما جاء للقراءة خاصة.

فقال: ترى ما ألقى من أبناء المهاجرين والأنصار، فقال صديقه: تحتال له، فقال لي نافع: أيمكنك، أن تبيت في المسجد؟ قلت: نعم، فبتُّ في المسجد فلما أن كان الفجر جاء نافع.

فقال ما فعل الغريب؟ فقلت: ها أنا رحمك الله، قال: أنت أولى بالقراءة، قال: وكنت مع ذلك حَسَنَ الصوت، مدَّادًا به، فاستفتحت فملأ صوتي مسجد رسول الله ﷺ.

فقرأت ثلاثين آية فأشار بيده أن اسكت فسكت، فقام إليه شاب من الحلقة، فقال: يا معلم أعزك الله، نحن معك وهذا رجل غريب.

وإنما رحل للقراءة عليك، وقد جعلت له عشرًا وأقتصر على عشرين فقال: نعم وكرامة، فقرأت عشرًا فقام فتى آخر، فقال كقول صاحبه فقرأت عشرًا وقعدت واقتصرت على عشرين، حتى لم يبق له أحد ممن له قراءة.

فقال لي: اقرأ فأقرأني خمسين آية فما زلت أقرأ عليه خمسين في خمسين حتى قرأت عليه ختمات قبل أن أخرج من المدينة.

ترى كيف كان صوت ورش وهو يقرأ بين يدي نافع، وهو في مسجد سيدنا رسول الله؟!!

اللهم ارض عن عبدك عثمان بن سعيد، وارزقنا تلاوة غضة طرية».

٢١- زيت القرآن براقٌ قابل للاشتعال، فإن اشتعل= فالخير لك! فقط: افرك الحجر، أو اقدح الكبريت.

٢٢- من الأعمال التي تجعلك أقرب للقرآن:

حفظ المفصَّل، مع حرص على تفقه في معانيه، وتقليب وتثوير لما تحمله سور هذا الجزء وآياته، وقيام لليل بها، فإن ذلك والله خير عظيم.

٢٣- «ليس التجويد بتمضيغ اللسان، ولا بتقعير الفم، ولا بتعويج الفك، ولا بترعيد الصوت، ولا بتمطيط الشد، ولا بتقطيع المد، ولا بتطنين الغُنَّات، ولا بحَصْرمة الراءات، قراءة تنفرُ عنها الطباع، وتمجُّها القلوب والأسماع.

بل القراءة السهلة العذبة الحلوة اللطيفة، التي لا مَضْغ فيها ولا لَوْك، ولا تعسُّف ولا تكلف، ولا تصنع ولا تنطع، لا تخرج عن طباع العرب وكلام الفصحاء بوجه من وجوه القراءات والأداء»، أبو الخير ابن الجزري.

٢٤- هناك عدة ختمات يمكن للمرء أن ينجزها في شهر رمضان وغيره، وهي لا تحتاج إلى وقت طويل ومنها:

أولًا: **ختمة الغريب**، بأن يمر القارئ على القرآن كاملًا مع ملاحظة الكلمات الغريبة ومراجعتها في كتاب من كتب غريب القرآن، ككتاب د. محمد الخضيري: (السراج في بيان غريب القرآن).

ثانيًا: **ختمة التعرف على سور المصحف الشريف**، بأن يعرف القارئ أسماء السورة، وفضلها، وموضوعاتها، ومقاصدها، وأقترح كتاب الشيخ محمد نصيف: (بطاقات التعريف بسور المصحف الشريف)، أو كتاب الدكتورة منيرة الدوسري: (أسماء سور القرآن وفضائلها)، أو كتاب الشيخ أحمد الطويل: (محتويات سور القرآن).

ثالثًا: **ختمة هدايات الأجزاء**، وتهدف للتعرف على هدايات الأجزاء المتلوة في صلاة القيام.

رابعًا: **ختمة المعنى الإجمالي للسور التي تكرر قراءتها**: (الفاتحة - الكهف - السجدة - الإنسان - ق - القمر - الملك - الأعلى - الغاشية - الكافرون - الإخلاص - المعوذتين).

خامسًا: **ختمة المعنى الإجمالي للسور التي وردت في شأنها فضائل خاصة**، ويمكن معرفتها من كتاب: (الصحيح في فضائل القرآن وسوره وآياته)، د. فاروق حمادة.

٢٥- تأويل كلام الله تعالى لا يكون بالظنون ولا بالتخرصات.

بل للتفسير آلة كغيره من العلوم، من لم يحصلها لا يجوز - حرمةٌ شرعية - لأن يقدم على كتاب الله بالتأويل والبيان.

وقد وضع لَبِنة هذه الأصول الرسول ﷺ، فأصل تفسير القرآن باللغة، وحجيتها، وحجية كلام الصحابة وفهمهم، وكون التفسير النبوي أحد المصادر، وأنه صلوات الله وسلامه عليه المفسر الأول.... إلى غير ذلك = يمكننا أن نأخذه من حديث واحد، وهو: استشكال الصحابة لقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ﴾ [الأنعام: ٨٢].

ودَرَجَ الصحابة على هذه الأصول، وخطَّأوا من تأول القرآن بغير أصل كما في تخطئتهم الخوارج، والرافضة، والقدرية، وسائرِ أهل الضلالات في عصرهم.

وبعد ذلك اتخذ أهلُ التفسير من الأئمة المجتهدين الناقدين هذه الأصول واستبطنوها في كتبهم، وتوالى العلماء على نقد كل تفسير يخرج عن الأصول المقررة، ولو كان من إمام، كما فعلوا مع بعض تأويلات مجاهد مع إمامته وفضله.

٢٦- للقرآن المجيد أثرٌ عظيم في تثبيت القلب أيام المحن، وأوقات نزول البلايا والفتن!

بل إنَّ هذا من مقاصده، كما قال سبحانه: ﴿قُلۡ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلۡقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ﴾ [النحل: ١٠٢]، وقال تعالى: ﴿وَكُلّٗا نَّقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ ٱلۡحَقُّ وَمَوۡعِظَةٞ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [هود: ١٢٠]!

ولا يظننَّ ظان أن العودة إلى القرآن، وتربية النفس على تلقي آياته نوع من الهروب من الواقع!

= بل إنَّ كثيرًا من الضَّعف والوَهَنِ الذي يدب في النفوس سببه الرئيس ضعف الإيمان!

ووصل الحال ببعض الناس إلى التشكيك في القدر، وظنِّ الظنون بالرب تعالى، ولو أنهم أقبلوا على كتاب ربهم لكان شفاءً لنفوسهم، وطُهْرَة لقلوبهم!

ولعلك تتأمل سورة الأحزاب - مثلًا -، واجتماع الكفار على رسول الله وأصحابه، حتى وصفهم الله بألفاظ جليلة تبعث في النفس ما كان عليه الأصحاب من زلزلة ووهن، ثم تأمل في تخذيل المنافقين لإخوانهم من أهل الإيمان، ثم تأمل في الذين آمنوا، وبم اتصفوا لينصرهم الله على الأحزاب!

= إنك إن فعلت فستجد خيرًا كثيرًا!.

٢٧- والله تعالى يبتلي العبد ليلجَأَ إليه، ويتمسَّك بحباله، فأيُّ عبدٍ ذلك الذي لا يرى لطفه في بلائه، وحكمته في مصابه، والدنيا مطبوعة على الكبد، وليس فيها مستراح لمؤمن، والحزن كل الحزن يذهب في الجنة، والله غفور شكور!

وكلما ازداد (العبد) علمًا وإيمانًا = ظهر له من حكمة الله ورحمته ما يبهر عقله، ويبين له تصديق ما أخبر الله به في كتابه.

٢٨- الترياقُ المجرب!

كان صالح المري إذا قص [أي: وعظ] قال: «هات جونة المسك والترياق المجرب - يعني القرآن -!

فلا يزال يَقرأُ ويدعو ويبكي حتى ينصرف»، [الترياق: الدواء].

٢٩- يبعث القرآنُ في النفوس ما يعجز الإنسان عن الإحاطة به، وما ذلك إلا أنه روح يغذي الأرواح وتلك لغة قد يعجز البيان عن إدراك أسرارها!

أحيانًا يستوقفك قارئ ما، في آية قد تمر عليها وتكر، لكنها تصادف منك محلًا خاليًا فتدهشك، وتحدث في نفسك وجدًا، وأحوالًا.

﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [الإسراء: ٨٥]!.

٣٠- يشكو كثير من الناس في شهر رمضان من عدم استطاعته الإقبال على القرآن، وما ذلك إلا من هجران طويل سبقه، والقرآنُ كتاب عزيز، يحتاج إلى طول مصاحبة، وحسنَ مِراس!

وهو أشد تفصِّيًا من الإبل في عقلها.

فأقبل على القرآن تصالحًا، ودرسًا، عسى أن يفتح الكريم أبوابه للطالبين.

٣١- «من أدرك علم أحكام الله في كتابه نصًا واستدلالًا، ووفقه الله

للقول والعمل بما علِم منه: فاز بالفضيلة في دينه ودنياه، وانتفت عنه الرِّيَب، ونَوَّرت في قلبه الحكمة، واستوجب في الدين موضع الإمامة.

فنسأل اللهَ المبتدئَ لنا بنعمه قبل استحقاقها، المديمَها علينا مع تقصيرنا في الإتيان إلى ما أوجب به من شكره بها، الجاعِلَنَا في خير أمة أخرجت للناس: أن يرزقنا فهمًا في كتابه، ثم سنة نبيه، وقولًا وعملًا يؤدي به عنا حقه، ويوجب لنا نافلة مزيدة.

فليست تنزل بأحد من أهل دين الله نازلة إلا وفي كتاب الله الدليلُ على سبيل الهدى فيها»، الإمام الشافعي - رضي الله عنه -.

٣٢- قصَّ الله علينا قصة الإنسان الأول عليه السلام، وهي قصة كل إنسان من ذريته، فينبغي أن تُخصَّ بمزيد تأمل.

وآية ذلك:

أن الله قص علينا - مثلًا - وقوع المعصية منه عليه السلام، ثم اجتباه ربه فتاب عليه، وهدى.

لقد وقع آدم عليه السلام في فخِّ إبليس عليه اللعنة، ووسوسته، ومقاسمته لهما إنه لمن الناصحين!

الشيطان ينصح، لكنَّها النصيحة التي تؤدي إلى النار والعياذ بالله.

ومع أن آدم وقع في الذنب إلا أنه سرعان ما تاب وأناب، ولم تكن توبته لتمنعه من وقوع العقوبة، فاستقبلها راضيًا، لكنَّ الله أثابه واجتباه وهداه، وأدخله الجنة خالدًا مخلدًا فيها.

وهكذا كان الصالحون من أبنائه، فهذا موسى ظلم نفسه، وقال: ﴿ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى﴾ ﴿فَغَفَرَ لَهُۥٓ﴾ [القصص: ١٦]!

وَجَدُّ موسى يوسف اعترف بضعفه، وقال لربه: ﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ﴾ [يوسف: ٣٤] ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ﴾ [يوسف: ٣٤].

ورحم الله الحسن حين قال: «إن الله لم يقصص عليكم ذنوب الأنبياء تعييرًا منه لهم، ولكنه قصَّها عليكم لئلَّا تقنطوا من رحمته، وتيأَسوا من فضله».

٣٣- كان العلامة الكبير محمد دراز يقرأ يوميًا ستة أجزاء من القرآن، ولم يتركه حتى أثناء الحرب العالمية التي عاصرها وقت وجوده بفرنسا!

وحكى من رافقه في سفره أنه كان لا يُرى إذا اختلى بنفسه الا مصليًا، أو تاليًا للقرآن.

واشتهر عنه أنه كان مُعَظمًا للقرآن.

رحم الله مؤلف (النبأ العظيم)، وشفَّع القرآن فيه.

٣٤- وفي الحديث: (أن تجعل القرآن ربيع قلبي).

يقول الطيبي: «كما أنَّ الربيع زمان إظهار آثار رحمة الله تعالي، وإحياء الأرض بعد موتها، كذلك القرآن يظهر منه تباشير لطف الله من الإيمان والمعارف، وتزول به ظلمات الكفر والجهالة والهموم».

٣٥- «لا تقعدوا فُرَّاغًا = فإن الموت يطلبكم!»، وأقبلوا على كتاب ربكم، تعلَّموه، واعملوا به.